المحاضرة الاولى

أهم الاحداث قبل مولد الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وسلم)

أراد الله سبحانه وتعالى أن يرحم البشرية ويكرم الإنسانية فحان وقت الخلاص بمبعث الحبيب (صلى الله عليه وسلم) وقبل أن نشرع في بيان ميلاده الكريم ونشأته العزيزة، ورعاية الله له قبل نزول الوحي عليه وسيرته العطرة قبل البعثة، نريد أن نتحدث عن الآيات العظيمة والأحداث الجليلة التي سبقت ميلاده عليه الصلاة والسلام، فقد سبق مولده الكريم أموراً عظيمة دلت على اقتراب تباشير الصباح ومن أهم هذه الأحداث

أولاً: قصة حفر عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم لزمزم

كان عبد المطلب بن هاشم جد الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) يسقي الحجيج الذين يأتون للطواف حول الكعبة، ويقوم على رعاية بيت الله الحرام فالتف الناس حوله، فكان زعيمهم وأشرفهم، وكان عبدالمطلب يتمنى لو عرف مكان بئر زمزم ليحفرها ؛ لأنها كانت قد ردمت بمرور السنين، ولم يعد أحد يعرف مكانها، فرأى في منامه ذات ليلة مكان بئر زمزم، فأخبر قومه بذلك ولكنهم لم يصدقوه، فبدأ عبد المطلب في حفر البئر هو وابنه الحارث، والناس يسخرون منهما، وبينما هما يحفران، تفجر الماء من تحت أقدامهما، والتف الناس حول البئر مسرورين، وظن عبد المطلب أنهم سيشكرونه، لكنه فوجئ بهم ينازعونه امتلاك البئر ، فشعر بالظلم والضعف لأنه ليس له أبناء إلا الحارث، وهو لا يستطيع نصرته، فإذا به يرفع يديه إلى السماء، ويدعو الله أن يرزقه عشرة أبناء من الذكور، ونذر أن يذبح أحدهم تقربا الله. استجاب الله دعوة عبد المطلب، فرزقه عشرة أولاد، وشعر عبد المطلب بالفرحة فقد تحقق رجاؤه، ورزق بأولاد سيكونون له سنداً وعوناً، لكن فرحته لم تستمر طويلا ؛ فقد تذكر النذر الذي قطعه على نفسه، فعليه أن يذبح واحداً من أولاده، فكر عبد المطلب طويلا، ثم ترك الاختيار الله تعالى، فأجرى قرعة بين أولاده، فخرجت القرعة على عبد الله أصغر أولاده وأحبهم إلى قلبه، فأصبح في حيرة؛ أيذبح ولده الحبيب أم يعصى الله ولا يفي بنذره ؟ فاستشار ،قومه، فأشاروا عليه بأن يعيد القرعة، فأعادها مرارا، لكن القدر كان يختار عبد الله في كل مرة، فازداد قلق عبد المطلب، فأشارت عليه كاهنة بأن يفتدي ولده بالإبل، فيجري القرعة بين عبدالله وعشرة من الإبل، ويظل يضاعف عددها، حتى تستقر القرعة على الإبل بدلا من ولده، فعمل عبد المطلب بنصيحة الكاهنة واستمر في مضاعفة عدد الإبل حتى بلغت مائة بعير، وعندئذ وقعت القرعة عليها، فذبحها فداء لعبد الله، وفرحت مكة كلها بنجاة عبد الله، وذبح له والده مائة ناقة فداءً له، وازداد عبد المطلب حبًّا لولده، وغمره بعطفه ورعايته. وقد ورد في فضل ماء زمزم أحاديث كثيرة فمنها. ما رواه مسلم في صحيحه في قصة إسلام أبي ذر رضي الله عنه): (إنها طعام طعم) ، وعن ابن عباس عن النبي (صلى الله عليه وسلم): (ماء زمزم لما شرب له)

ثانياً: قصة أصحاب الفيل:

هذه الحادثة ثابتة بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وأتت تفاصيلها في كتب السير والتاريخ، وذكرها المفسرون في كتبهم. ذات يوم استيقظ أهل مكة على خبر أصابهم بالفزع والرعب، فقد جاء ملك اليمن أبرهة الأشرم الحبشي بجيش كبير ، يتقدمه فيل ضخم يريد هدم الكعبة حتى يتحول الحجيج إلى كنيسته التي بناها في اليمن، وأنفق عليها أموالا كثيرة، واقترب الجيش من بيت الله الحرام، وظهر الخوف والهلع على وجوه أهل مكة، والتف الناس حول عبد المطلب الذي قال

لأبرهة بلسان الواثق من نصر الله تعالى: (للبيت رب يحميه). فازداد أبرهة عناداً، وأصر على هدم الكعبة، فوجه الفيل الضخم نحوها، فلما اقترب منها أدار الفيل ظهره ولم يتحرك، وأرسل الله طيوراً

من السماء تحمل حجارة صغيرة، لكنها شديدة صلبة، ألقت بها فوق رءوس جنود أبرهة فقتلتهم وأهلكتهم قال تعالى: أَلَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ، أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيل ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيل، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ، فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ } ، وفي هذا العام ولد الرسول (صلى الله عليه وسلم).

أولاً: نسب النبي (صلى الله عليه وسلم)

إن النبي (صلى الله عليه وسلم) أشرف الناس نسباً وأكملهم خَلْقاً وخُلْقاً وقد ورد في شرف نسبه أحاديث صحاح منها ما رواه الإمام مسلم رحمه الله : أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (إن الله عز وجل- اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم). وقد ذكر الإمام البخاري نسب النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال : (هو أبو القاسم، محمد بن عبدالله، بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة، بن كعب، بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وقد جاء عن ابن سعد في طبقاته : (الأمر عندنا الإمساك عما وراء عدنان إلى إسماعيل). قال الذهبي في كتاب السيرة النبوية : (وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام بإجماع الناس لكن اختلفوا فيما بين عدنان وإسماعيل من الآباء). وام النبي (صلى الله عليه وسلم) هي السيدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة.

إن معدن النبي (صلى الله عليه وسلم) طيب ونفيس، فهو من نسل إسماعيل الذبيح وإبراهيم خليل الله واستجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام وبشارة أخيه عيسى عليه السلام كما حدث هو عن نفسه، فقال: أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة أخي عيسى ان طيب المعدن والنسب الرفيع يرفع صاحبه عن سفاسف الأمور ويجعله يهتم بعاليها وفضائلها والرسل والدعاة يحرصون على تزكية أنسابهم وطهر أصلابهم، ويعرفون عند الناس بذلك فيحمدونهم ويثقون بهم. ومما تبين يتضح لنا من نسبه الشريف، دلالة واضحة على أن الله سبحانه وتعالى ميز العرب على سائر الناس، وفضل قريشا على سائر القبائل الأخرى، ومقتضى محبة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، محبة القوم الذين ظهر فيهم والقبيلة التي ولد فيها، لا من حيث الأفراد والجنس بل من حيث الحقيقة المجردة ذلك لأن الحقيقة العربية القرشية.

ثانياً: زواج عبد الله بن عبد المطلب من آمنة بنت وهب.

كان عبد الله أكرم شباب قريش أخلاقا ، وأجملهم منظرًا، ومن أحب ولد أبيه إليه، ولما نجا من الذبح وفداه عبدالمطلب بمائة من الإبل أراد والده عبد المطلب أن يزوجه، فاختار له زوجة صالحة، هي السيدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة أطهر نساء بني زهرة، وسيدة نسائهم والسيدة آمنة تلتقي في نسبها مع عبدالله والد النبي (صلى الله عليه وسلم) في كلاب بن مرة، وتمر الأيام، ويخرج عبدالله في تجارة إلى الشام، بعد أن ترك زوجته آمنة حاملا ولحكمة يعلمها الله، مات عبد الله قبل أن يرى وليده ، ولم يكن زواج عبدالله من آمنة هو بداية أمر النبي (صلى الله عليه وسلم)، قيل للنبي (صلى الله عليه وسلم) ما أول بدء أمرك : فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منه

قصور الشام). ودعوة إبراهيم عليه السلام هي قوله : { رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . وبشرى عيسى: كما أشار إليه قوله عز وجل : { وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) . وقوله : (ورأت أمي كأنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام)، قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله): وخروج هذا النور عند وضعه إشارة إلى ما يجيئ به من النور الذي اهتدى

به أهل الأرض، وزال به ظلمة الشرك منها، كما قال تعالى: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنَ لكمْ كَثِيراً مِمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَعْفو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلام وَيُخْرِجُهُم مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } وقال ابن كثير : وتخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استقرار دينه وثبوته ببلاد الشام ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلا للإسلام وأهله، وبها ينزل عيسى بن مريم بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها.

ثالثاً: ميلاد الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وسلم)

ولد الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وسلم) يوم الاثنين من شهر ربيع الأول بلا خلاف والأكثرون على أنه ليلة الثاني عشر منه، والمجمع عليه أنه عليه الصلاة والسلام ولد عام الفيل الذي يوافق عام (٥٧١م) وكانت والدته في دار أبي طالب بشعب بني هاشم ، ولدت السيدة آمنة بنت وهب زوجة عبد الله بن عبد المطلب غلاماً جميلا، مشرق الوجه، وخرجت ثويبة الأسلمية خادمة أبي لهب عم النبي (صلى الله عليه وسلم) تهرول إلى سيدها أبي لهب، ووجهها ينطق بالسعادة، وما كادت تصل إليه حتى همست له بالبشرى فتهلل وجهه وقال لها من فرط سروره اذهبي فأنت حرة وأسرع عبد المطلب إلى بيت ابنه عبد الله ثم خرج حاملا الوليد الجديد، ودخل به الكعبة مسروراً كأنه يحمل على يديه كلَّ نعيم الدنيا، وأخذ يضمه إلى صدره ويقبله في حنان

بالغ، ويشكر الله ويدعوه، وألهمه الله أن يطلق على حفيده اسم محمد.

وروى محمد بن إسحاق عن حسان بن ثابت :قال

والله إني لغلام يفعة؛ ابن سبع سنين أو ثمان، أعقل كل ما سمعت إذ سمعت يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أطمة بـ (يثرب): يا معشر يهود حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له: ويلك مالك؟! قال : طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به.

رابعاً: مرضعاته عليه الصلاة والسلام

كانت حاضنته (صلى الله عليه وسلم) أم أيمن بركة الحبشية أمة أبيه، وأول من أرضعته ثويبة أمة عمه أبي لهب .

حكاية مرضعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) :

جاءت المرضعات من قبيلة بني سعد إلى مكة؛ ليأخذن الأطفال الرضع إلى البادية حتى ينشئوا هناك أقوياء فصحاء، قادرين على مواجهة أعباء الحياة، وكانت كل مرضعة تبحث عن رضيع من أسرة غنية ووالده حي؛ ليعطيها مالا كثيراً ، لذلك رفضت كل المرضعات أن يأخذن محمداً (صلى الله عليه وسلم) لأنه يتيم، وأخذته السيدة حليمة السعدية لأنها لم تجد رضيعا غيره، وعاش محمد

(صلى الله عليه وسلم) في قبيلة بني سعد، فكان خيراً وبركة على حليمة وأهلها، حيث اخضرت أرضهم بعد الجنب والجفاف، وجرى اللبن في ضروع الإبل.

حادثة شق الصدر:

تعد حادثة شق الصدر التي حصلت له عليه الصلاة والسلام أثناء وجوده في مضارب بني سعد من إرهاصات النبوة ودلائل اختيار الله إياه لأمر جليل. وقد روى الإمام مسلم في صحيحه حادثة شق الصدر في صغره، فعن أنس بن مالك: (أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة فقال : هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون الى أمه يعني ظئره فقالوا : إن محمدا قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر المخيط في صدره . ولا شك أن التطهير من حظ الشيطان هو إرهاص مبكر للنبوة، وإعداد للعصمة من الشر وعبادة غير الله، فلا يحل في قلبه إلا التوحيد الخالص، وقد دلت أحداث صباه على تحقق ذلك فلم يرتكب إثما ولم يسجد لصنم رغم انتشار ذلك في قريش .

خامساً: وفاة أمه وكفالة جده ثم عمه:

توفيت أم النبي (صلى الله عليه وسلم وهو ابن ست سنين بالأبواء بين مكة والمدينة وكانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار تزيره إياهم فماتت وهي راجعة به الى مكة ودفنت بالأبواء وبعد وفاة أمه كفله جده عبد المطلب، فعاش في كفالته وكان يؤثره على أبنائه أي أعمام النبي (صلى الله عليه وسلم) فقد كان جده مهيبا لا يجلس على فراشه أحد من أبنائه مهابة له، وكان أعمامه يتهيبون الجلوس على فراش أبيهم، وكان (صلى الله عليه وسلم) يجلس على الفراش ويحاول أعمامه أن يبعدوه عن فراش ابيهم فيقف الأب الجد بجانبه ويرضى أن يبقى جالسا على فراشه متوسما فيه الخير وأنه سيكون له شأن عظيم ، وكان جده يحبه حبا عظيما

وكان إذا ارسله في حاجة جاء بها وذات يوم أرسله في طلب ايل فاحتبس عليه فطاف بالبيت

وهو يرتجل يقول:

رب رد راكبي محمداً ... ... رده لي واصنع عندي يداً

فلما رجع النبي (صلى الله عليه وسلم) وجاء بالإبل فقال له يابني : لقد حزنت عليك كالمرأة حزناً لا يفارقني ابدا.

ثم توفي عبد المطلب والنبي (صلى الله عليه وسلم) في الثامنة من عمره ، فأوصى جده به عمه أبا طالب فكفله عمه وحن عليه ورعاه . أرادت حكمة الله أن ينشأ رسوله يتيما، تتولاه عناية الله وحدها بعيدا عن الذراع التي تمعن في تدليله والمال الذي يزيد في تنعيمه، حتى لا تميل به نفسه الى مجد المال والجاه، وحتى لا يتأثر بما حوله من معنى الصدارة والزعامة ، فيلتبس على الناس قداسة النبوة بجاه الدنيا، وكانت المصائب التي أصابت النبي (صلى الله عليه وسلم) منذ طفولته كموت أمه ثم جده بعد أن حرم عطف الأب وذاق كأس الحزن مرة بعد مرة كانت تلك المحن قد جعلته رقيق القلب مرهف الشعور، فالأحزان تصهر النفوس وتخلصها من أدران القسوة والكبر والغرور، وتجعلها أكثر

رقة وتواضعاً. وليست وفاة والديه في العشرينات من حياتهما ناشئة عن هزالهما وضعف بنيتهما.. وإنما توفاهما الله بعد أن قاما بالمهمة التي وجدا من أجلها، ليتأسى بمحمد (صلى الله عليه وسلم) كل من فقد والديه أو أحدهما وهو صغير، وليكون أدبه وخلقه مع يتمه دليلا على أن الله تعالى تولى

رعايته وتأديبه، وحتى ينشأ قوي الإرادة ماضي العزيمة غير معتمد على أحد في شؤونه، وحتى لا يكون لأبويه أي أثر في دعوته وحتى لا تتدخل يد البشرية في تربيته وتوجيهه، فيكونٍ الله سبحانه وتعالى هو الذي يتولى تربيته، ولا يتلقى أو يتلقن من مفاهيم الجاهلية وأعرافها شيئا، إنما يتلقى من لدن الحكيم الخبير فالله سبحانه وتعالى ،آواهٍ وسخٍر له جده وعمه لتهيئة الجانب المادي بينما كانت التربية النفسية والخلفية والفكرية تعهدا ربانيا، ورعاية إلهية.